

دعائم تنمية مهارة الكلام في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها
 د. خليفة صحراوي
 قسم اللغة العربية وآدابها
 جامعة باجي مختار - عنابة

ملخص

لكل لغة نظامها الخاص، والنظام هو جملة الضوابط التي تحكم وحداتها المعجمية، وعباراتها، وتتفرع هذه الضوابط إلى أنظمة فرعية: هي النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي والنظام المعجمي الدلالي. ولكون اللغة العربية تتفرد عن سائر اللغات بخصائص عديدة وجب الاهتمام بنظامها الصوتي ومميزاته، وبكيفية استغلال غنى اللغة العربية ونظامها الصوتي في الحقل التعليمي وبخاصة لفئة غير الناطقين بها؟

الكلمات المفاتيح: مهارة الكلام، ناطقون بغير اللغة العربية، نظام صوتي، تعليمية اللغة.

*Les fondements du développement de la compétence de la parole
 dans l'enseignement de la langue arabe aux non arabophones*

Résumé

Chaque langue possède son propre système, il s'agit d'un ensemble de règles qui régissent ses unités lexicales. Ces règles se divisent en sous systèmes qui composent le système phonétique, le système morphologique, le système syntaxique et le système sémantico-lexical. Vu que la langue arabe se caractérise des autres langues par plusieurs traits distinctifs, il est impératif de s'intéresser à son système phonétique et ses caractéristiques, et de définir les modalités d'exploiter la richesse de la langue arabe et son système phonétique dans le domaine de la didactique, surtout lorsqu'elle est apprise en tant que langue étrangère.

Mots clés : Compétence de la parole, non arabophones, système phonétique, didactique de la langue.

*Foundations for the Development of Speech Skills
 in Teaching Arabic to Non-Arabic Speakers*

Abstract

Each language has its own system, which is a set of rules governing its lexical units. These rules are divided into sub systems that make up the phonetic system, the morphological system, the syntactic system and the semantic-lexical system. Since the Arabic language is characterized by several distinctive features, it is imperative to focus on its phonetic system and its features. So, how should we put in use the richness of the Arabic language and its phonetic system in the field of didactics, especially as a foreign language?

Keywords: Speech skill, non-arabic speaking learners, phonetic system, teaching language.

مقدمة:

إن تعليم اللغة - سواء للناطقين بها أو بغيرها، صغارا كانوا أم كبارا، منتظمين دراسيا أم غير منتظمين- لا يخلو من مشكلات وعوائق يتعلق بعضها بالمعلم، وبعضها بالمتعلم، وبعضها بالمادة المعلمة، وبعضها بطبيعة اللغة نفسها، وما إلى ذلك.

هذه العناصر كلها تتآزر وتتكامل لبناء أساس علمي لتعليمية اللغة، ويبدو أن أكثرها أثرا في غيره هو طبيعة اللغة. ولا يخفى على أي باحث اليوم -مهما يكن اختصاصه- دور اللسانيات في تعليمية اللغة، وما تقدمه من حلول لكثير من المشكلات التي تعترض المعلم والمتعلم على حد سواء.

إن التقدم العلمي الذي حققته -سواء اللسانيات العامة أو اللسانيات الاجتماعية أو اللسانيات النفسية- في القرن العشرين ولا سيما في النصف الثاني منه، بين بجلاء مجموعة من الحقائق تتعلق أساسا بطبيعة اللغة وبنيتها، ووصفها، وتفسيرها وظروف استعمالها، وما إلى ذلك من أسس معرفية مساعدة في عملية التعليم والتعلم، وهو دليل قاطع على الإمكانيات الكثيرة التي توفرها اللسانيات الحديثة للإسهام في النهوض العلمي حين التعامل مع اللغة.

هذا الأمر بدأ أثره واضحا في مجال البحث في تعليمية اللغات La didactique des langues، الذي تطور بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة، هذا التطور الذي كان من نتائجه أن اللغة لم تعد تعلم بوصفها لغة مكتوبة بل بوصفها لغة منطوقة، وبالأحرى بوصفها ظاهرة صوتية في المقام الأول مما حدا بالباحثين إلى التركيز على البحث في اللغة المنطوقة الذي كشف تباينا كبيرا بين نسقي اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، فساد الاعتقاد بضرورة الفصل المنهجي بين مهارتي التعبير الشفوي والتعبير الكتابي، مع الإلحاح على أنه ينبغي

من المتفق عليه أن لكل عمل خلفيات ومنطلقات: فالمنطلق الأول لهذه الورقة البحثية هي تجربة قاربت الثلث قرن في التعامل مع اللغة العربية بحثا وتدريسا، ففي مجال تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها مثلا، أجريت دراسة تقابلية بين اللغتين العربية والفرنسية قصد تحديد العقبات الصوتية في تعليم اللغة العربية... والواقع أن أساس هذه الدراسة لم يقتصر على المنهج التقابلي La méthodologie contrastive فحسب، بل تم معاينة نماذج من الأخطاء الصوتية بإجراء دراسة ميدانية مع عينة من المتعلمين وكان جلهم من الناطقين باللغة الفرنسية.

أما المنطلق الثاني لهذه الدراسة ما لمسناه من حاجة إلى تأكيد أسس تأليف الطرائق التعليمية للغة العربية وبخاصة لفئة الناطقين بغيرها، لكونها لا تُعنى العناية الكافية بخصائص اللغة العربية، وحتى وإن ارتفعت نداءات في السنوات الأخيرة للعناية بتعليمية اللغة العربية على أسس عملية، فإنها مازالت بحاجة إلى المزيد.

ووعياً بهذه المنطلقات، وتقريراً لأهمية خصائص اللغة العربية وميزاتها، وتأكيذاً على ضرورة الأخذ بها ومراعاتها لتعليمية اللغة العربية، ارتأينا تناول الموضوع الآتي:

دعائم تنمية مهارة الكلام في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

شهد ميدان اللغة العربية للناطقين بغيرها حركة نشيطة تهدف إلى تيسير سبل نشرها على أسس تعليمية سليمة، وذلك استجابة للإقبال المتزايد على تعلمها. ولقد بذلت مؤسسات وهيئات ومعاهد أكاديمية جهودا مقدرة لإعداد مواد تعليمية اللغة العربية لفئة الناطقين بلغات أخرى⁽¹⁾.

بخصائصها ومميزاتها، واستعمالها الاستعمال الأمثل نظفاً وكتابة في مختلف مجالات الحياة، ذلك أن الجهل بها - أي خصائصها - يعيق تقديم الحلول الناتجة لمشكلاتها التعليمية مما يستوجب الالتفات إلى إبراز العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية، وبين خصائصها، وذلك بالتخطيط العلمي لبناء منهاج تعليمها، لا بوصفها نظاماً فحسب، بل بوصفها ظاهرة اجتماعية ثقافية.

ولن يتحقق ذلك - من وجهة نظري - إلا إذا كان معلم اللغة العربية ذا حصيلة معرفية للنظرية اللسانية، تساعده على إدراك حقيقة الظاهرة اللغوية، مما ينعكس إيجاباً على منهجية تعليمية اللغة العربية.

ومن بين التساؤلات المطروحة:

ما أهم أسس أو خصائص اللغة العربية التي ينبغي الانطلاق منها أو مراعاتها لتعليمية اللغة العربية؟

انطلاقاً من أن الهدف المنشود هو تعليمية اللغة العربية، ينبغي الإشارة إلى أن الناظر في واقع تعليمها اليوم يقف على أن ما تحقق ليس بقدر الطموح المنشود والأمل المعقود، ذلك أنه - أي تعليمها - يتم في محيط يتأرجح بين التأثير والتأثر، وبين الانفتاح والانغلاق، وبين التجديد والمحافظة.

من كل هذا بدا لنا أنه لتحقيق تصور علمي مضبوط لتطوير تعليمية اللغة العربية ينبغي الإجابة عن مجموعة من الأسئلة نعدّها وجيهة منها:

أولاً: إلى أي مدى يمكننا تحقيق التوازن في مناهج تعليمية اللغة العربية بين خصائصها وتيسير تعليمها؟

ثانياً: إلى أي مدى يمكننا توظيف نتائج البحث اللساني بمختلف مجالاته في اختيار المادة اللغوية وتنظيمها وعرضها؟

الانطلاق من الجانب الشفوي في التعليم، وهو ما يتماشى مع النظام الطبيعي والتكويني والتعاقبي للغات⁽²⁾.

ومن البدهي أن تكون خصائص كلّ لغة وسماتها هي جملة الفروق بين لغة وأخرى وأن تكون الأساس الذي يبنى عليه تحديد اللغات ومعرفة هوية كل منها. وليست اللغة العربية بدعا في هذا، فلها خصائصها، وأسسها التي تميزها من غيرها من اللغات.

وسمات اللغة العربية كثيرة، وهي في الأساس جملة القواعد والقوانين الضابطة لها⁽³⁾ نظفاً وكتابة، وما تجدر الإشارة إليه أن لخصائص اللغة قيمة كبرى في ميدان البحث اللغوي لكونها المنطلق السليم لكل عمل لغوي تجريه، فهي الأساس الذي ينبغي أن يعول عليه عند اقتراح الحلول الصحيحة للمشكلات اللغوية، وأن البعد بين هذين الأمرين، خصائص اللغة والعمل اللغوي هو في الأساس الانحراف في كثير من المحاولات اللغوية التي قام أصحابها يريدون أن يقدموا من خلالها حلولاً لبعض المشكلات اللغوية. فمن يجهل خصائص لغة ما أو يجهل ما تتصف به تلك اللغة، وما تختلف فيه عن غيرها من اللغات لا يستطيع أن يقدم الحل الصحيح لأي مشكلة من مشكلاتها. إن معرفة طبيعة اللغة وفق خصائصها أو أسسها، أمر لا بد منه لكل من يتحدث عن اللغة دفاعاً عنها أو علاجاً لها. والدعوة إلى التجديد مهما يكن اسمها أو شعارها، تكون دعوة سطحية، ما لم تقم على أساس موضوعي من التبصر، ومعرفة طبيعة اللغة وخصائصها⁽⁴⁾.

كما أن الحديث عن أسس اللغة العربية وخصائصها مرتبط بتعليمها سواء من خلال المداخل أو من خلال الطرائق، وذلك أنه من ألزم متطلبات التدريس لمعلم اللغة العربية، علمه العميق

تتوخى تحقيق أهداف مغايرة للوظيفة الاتصالية للغة⁽⁵⁾.

اللغة نظام صوتي:

يقود البحث في اللغة إلى استخلاصات كثيرة ومتنوعة من بينها أنها - أي اللغة- تتكون من أصوات قليلة قد لا تزيد عند كتابتها على سطر أو سطرين وفي كل اللغات، هذا هو نصيب المادة في اللغة، أما النصيب الأكبر منها فيعود إلى ما يتعارف عليه الدارسون بـ: "النظام Système الذي نستطيع -وفقا له- أن نشكل من تلك الأصوات القليلة عدداً غير متناه من الوحدات المعجمية والتراكيب⁽⁶⁾.

تتميز اللغات بعضها من بعض بالنظام، إذ لكل واحدة منها نظامها الخاص، وهو جملة الضوابط التي تحكم وحداتها المعجمية وعباراتها، ويلتزم بها مستخدموها التزاما يمكنهم من التواصل والنفاهم⁽⁷⁾ وتتوزع هذه الضوابط على أنظمة فرعية هي النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، والنظام الدلالي.

فاللغة ليست فوضى، ومكوناتها ليست شاردة تهيم في كل اتجاه وكيفما اتفق، ولكنها كيانات منظمة تحكمها قوانين وقواعد لا بد من مراعاتها في توزيع الأصوات، وبناء الوحدات المعجمية، ونسج التراكيب... ولولا هذا النظام لأخفقت في أن تكون مجالا وميدانا للدراسة والتحليل، على أن النظام يعني مجموع القواعد التي تنظم العلاقة التركيبية بين المكونات اللغوية كلها: أصواتها، ومفرداتها، وعباراتها، وبعبارة أخرى فإن النظام في اللغة أمر يتسع فيشمل طريقة تصنيف الأصوات اللغوية وتواليها، وليس بخاف ما في هذا الاتساع والشمول من تخطأ لأبنية الصرف، وقواعد النحو، وقوانين البلاغة.

والأساس في هذا الطرح هو أن محتوى المنهاج الذي نسعى لبنائه هو محتوى لغوي -على الرغم من أهمية العوامل الأخرى- وأن الخبرات التي تقدم في مواقف تعليمية اللغة إنما هي مستمدة من اللغة بوصفها جملة أنظمة أو نظاما يتألف من أنظمة صغرى. وهو الأمر الذي يؤكد أن تعليمية اللغة هي إشكالية شاملة تتضمن تأملا وتفكيراً في طبيعة المادة الدراسية، وكذا في طبيعة وغايات تعليمها، وصياغة فرضياتها الخاصة؛ كما أنها دراسة نظرية وتطبيقية للفعل التربوي.

ولا يخفى على أحد أن الهدف الأسمى من تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هو التواصل والتواصل الفعال وهو ما يطلق عليه عند البعض "كفاءة الاتصال compétence communicative ويقصد به تزويد المتعلمين بالمهارات اللغوية المناسبة التي تمكنهم من الاتصال المثمر بمتحدثي اللغة المستهدف تعليمها وفق المفهوم الذي يحدد ماهية اللغة على أنها مجموعة من الوحدات الصوتية التي يحكمها نظام معين.

إضافة إلى ذلك تسعى العملية التعليمية لهذه الفئة إلى تزويد المتعلمين بالكفاءة اللغوية compétence linguistique، ويقصد بذلك تزويدهم بالمهارات اللغوية التي تجعلهم قادرين على فهم طبيعة اللغة والضوابط التي تسيروها وتحكم ظواهرها والخصائص التي تتميز بها مكوناتها، أصواتا، ومفردات، وتراكيب، ومفاهيم، انطلاقاً من تصور مؤداه أن الأقدر على التعامل باللغة هو الذي يعرف ويدرك أصولها ويفهم ضوابطها.

والتواصل في مفهومه العام هو عملية تحدث من خلال مواقف معينة، فأصبح الاتجاه الغالب الآن في حقل تعليمية اللغات يميل إلى تبني الطريقة التواصلية، ونبذ الطرائق الأخرى التي

بعضها ببعض، ونظام البنية الدلالية يتعلق بدلالة الألفاظ على المعاني، وأصلها وتطورها⁽⁸⁾.

إنه لواضح بدرجة كافية أن الاهتمام بالأداء والنطق من أهم الجوانب التي أكدتها اللسانيات، فدراسة الأصوات، ومعرفة مواصفاتها، ومميزاتها هي المنطلق لكل العلوم التي لها صلة باللغة، كما أنها هي الأساس الذي تنطلق منه أية دراسة لغوية. فالمستوى الصوتي هو نواة اللغة، ومن هنا فهو مذكور في كل دراسة، وإن غاب عن الذكر في أي مستوى من مستويات التحليل، كان التحليل مشوهاً والحكم منقوصاً، والعلّة في ذلك بسيطة وهي أن اللغة أصوات وغياب مراعاة العنصر الصوتي هو غياب اللغة.

النظام الصوتي تعدّ القاعدة الأساسية للدراسات على مستوى البنية التركيبية، والمعجمية، وأنها أول خطوة في أية دراسة لغوية لكون الوحدة الصوتية هي الركيزة الأساسية لبنية اللغة وهي أصغر وحدة فيها، ومنها تتألف الكلمة نتيجة ترابطها وتآلفها، ومن ترابط الكلمات تتكون الجمل. ولا تقف أهمية الوحدات الصوتية في حدود بنية الكلمة، وإنما تتجلى أهميتها في بيان دلالة التراكيب النحوية اعتماداً على أصوات تدخل في تركيب الهيكل البنوي الداخلي للكلمة الواحدة، أو المظهر الخارجي لها عندما تظهر أهميتها في التفريق بين معنى نحوي وآخر. فللوحدة الصوتية أثر في بيان الدلالة المعنوية، والدلالة الموسيقية كما أسفرت جملة من الدراسات عن نتائج أوضحت أن الصّرف يعتمد اعتماداً كبيراً على نتائج علم الأصوات، وأن النحو يعتمد على ما يقدمه له علم الصّرف من نتائج، لدرجة أنه يؤكد عند البعض أن أية دراسة صرفية لا تأخذ في الحسبان الجانب الصوتي للظاهرة المدروسة مصيرها الفشل⁽¹⁰⁾.

ومن هذا المنظور تعاملت اللسانيات الحديثة مع اللغة فعدتها جملة من البنى، منطلقها مستويات مختلفة ترد على شكل أنظمة مستقلة، وفي الآن نفسه متفاعل بعضها مع بعض، وهذه المستويات هي:

- مستوى البنية الصوتية.
- مستوى البنية التركيبية (الصرفية-النحوية).
- مستوى البنية الدلالية.

ومنه يتبين أنّ النظام اللغوي أنظمة متعددة، مرتبطة ومتفاعلة، فالنظام الصوتي يتعلق بطبيعة الأصوات ومواقعها وتداخلها والعلاقات القائمة بينها، والنظام التركيبي يتعلق ببنية الكلمات في اللغة، وتحولها، واشتقاقها، وإبدالها وعلاقة المفردات والأداء الصحيح للغة ونطقها له أسس ومعايير دونها العلماء، وينبغي أن تعرف وتراعى (تعرف من قبل متعلم اللغة، وتراعى من لدن المعلم)، فالانحراف عن النطق يؤدي غالباً إلى اختلاف المعنى وتباين المقاصد، فمعرفة طرائق الأداء الصحيح لا يقل في أهميته عن معرفة القواعد النحوية. ولللسانيات دور بارز في دراسة أساليب الأداء في اللغات، وكان من ثمراتها الاهتمام بمصطلحات علمية عديدة في مجال الدراسة الصوتية كالمماثلة، والنبر، والتنغيم، والتفخيم، والإيقاع.

وعلى الرغم من أن الدراسات الحديثة كشفت عن أهمية معرفة النظام الصوتي لوحظ نقص الاهتمام بهذا المجال، وعدّ المتخصص فيه كمن انصرف إلى جمع التحف انصرافاً لا يقصد من ورائه إلا إشباع لذة التملك والمباهاة. والحق أن هذه النظرة غير سليمة إلى مجال هو حجر الأساس لأي دراسة لغوية، إنها نظرة تفصح عن إدراك غير سليم لحقيقة اللغة⁽⁹⁾. كما أوضحت الدراسات اللسانية أن دراسة

مهارة الكلام⁽¹¹⁾:

هكذا يطرح السؤال الجوهري لهذه الورقة البحثية: ما هي العقبات التي تقف في طريق التحكم بمهارة الكلام، حين تعلم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؟.

إن الإجابة عن هذا السؤال متعددة الفروع، وإنما تتضمن أيضا أسئلة أخرى فرعية، إلا أنه تجدر الإشارة إلى وجود مجموعة من العقبات قائمة تستنتج وتشتق من طبيعة الفروق في اللفظ والمعنى بين اللغة الأولى واللغة الهدف.

وبهذا الصدد تؤكد بعض الاتجاهات على ضرورة القيام بدراسات تقابلية بين اللغات للتعرف على ما يجب تقديمه لدارسي اللغات، كما ظهر اتجاه مضاد لهذه النظرة المبنية على التحليل التقابلي، ويرى أصحابه أنه من الخطأ الاعتماد فقط على نتائج التحليل التقابلي لكونه يبيء بطبعه، وعليه يحذّر اعتماد منهج تحليل الأخطاء لمعرفة أنواع الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون فعلا، وهي التي تعطينا مؤشرا قيما لترتيب المادة التعليمية والتركيز عليها في العملية التعليمية.

وارتأى اتجاه آخر ضرورة استغلال منهج التحليل التقابلي جنبا إلى جنب مع منهج تحليل الأخطاء بصورة يكمل أحدهما الآخر، وتعوض نواقص أحدهما بحسنات الآخر... وتبين في جملة من الدراسات التطبيقية⁽¹⁴⁾ أن المنهجين المذكورين لا غنى عنهما لتعليم اللغة، فالأول يقوم بتحليل يقابل فيه بين أنظمة لغتين لإبراز أوجه الاختلاف بينها والثاني يقوم بتجميع الأخطاء وتصنيفها ثم البحث عن أسبابها قصد تذليلها ومعالجتها.

وعلى العموم فإن اكتساب اللغة وترسيخها في الذهن، يتطلب ممارستها وتوظيفها في مواقف مختلفة، وذلك قصد الحفاظ على هذه المكتسبات وتمييزها. وإذا كان الاستماع هو المهارة الأولى التي

إن الهدف من تعلم اللغة هو إتقانها الذي يعني التحكم في اللفظ للكلمات والجمل تماما؛ من حيث البنية والتنغيم والإيقاع فضلا عن التحكم التام في المعاني التي تحملها الألفاظ والجمل سواء كانت مفردة أو داخل سياق. إن هذا الترابط المحكم بين جانبي النطق والفهم يعد الأساس الذي يعتمد عليه تعليم اللغة أولا وآخرا، هذا إذا وضعنا جانبا مسألة القراءة والكتابة اللتين تعدان عمليتين تعليميتين تابعتين لعمليتي الاستماع والكلام.

فالمهارات في حقيقة الأمر متداخلة متصلة بعضها ببعض، والاتجاه السائد يحددها في مهارات الاستماع والكلام ثم القراءة والكتابة وتقسم عند الكثير إلى قسمين:

الأول: المهارات الاستيعابية وهي الاستماع والقراءة.
الثاني: المهارات الإنتاجية وهي الكلام والكتابة.

وتعد مهارة الكلام في نظر الكثير من أهمها؛ لأن اللغة في الأصل كلام أضف إلى ذلك أن لها علاقات واشجة مع المهارات اللغوية الأخرى فمثلا يربط الصوت بينها وبين مهارة الاستماع، كما يربطها بالاستماع أيضا تبادل المواقف بين طرفي الاتصال اللغوي، وهما المستمع والمتكلم⁽¹²⁾.

وإنه لو واضح بدرجة كافية أن الكلام مهارة إنتاجية تتطلب من المتعلم القدرة على استخدام الأصوات بدقة والتمكن منها، فهو -أي الكلام- عملية إدراكية تتضمن دافعا للتكلم ثم مضمونا للحديث ثم نظاما لغويا بوساطته يترجم الدافع والمضمون في شكل كلام... ويعد الكلام أيضا عملية انفعالية اجتماعية، فهناك مصدر للأفكار والاتجاه الذي تأخذه، والموقف الذي تقال فيه، والشخص الذي تقال له، معنى هذا أن الكلام هو عملية تبدأ صوتية⁽¹³⁾.

الصوتي ومميزاته، ولا تنحصر هذه الخصائص في صفات الأصوات وهي مجردة أو مفردة بل تشمل الطريقة التي تنظم بها هذه الأصوات لتكوين الكلمات، وتكيف أدائها في نطاق السلسلة الكلامية.

2- يمكن تذليل الكثير من عقبات الأداء بالاستنتاج بعلم الأصوات بفرعيه العام والوظيفي، فبواسطته واعتماداً على أسسه ومجالات تطبيقه يمكن أن تذلل معظم العقبات في تعليمية اللغة العربية لجميع الفئات والمستويات. كما أن الاهتمام بالدراسة الصوتية يكون دافعا لبذل المزيد من الجهود لتيسير تعليم اللغة العربية

3- لغة الكلام أهمية بالغة في تعليمية اللغة، حيث يؤدي بالمتعلم إلى اكتساب مهارتي الاستماع والكلام، ومهارة الكلام أساسية وممهدة لاكتساب مهارتي القراءة والكتابة. فالتأدية اللغوية -بعد الممارسة- للجانب المنطوق للغة تسهل عملية الاكتساب، وتتمي قدرة التواصل والتعبير والتبليغ لدى المتعلم نتيجة العناصر المصاحبة للكلام، والتي تمنحه قوة وحيوية وروحا. وأهم هذه العناصر هي تنغيم الصوت، ونير الكلمات، وسرعة الأداء أو بطئه.

4- تستند تعليمية اللغة العربية ومهارتها إلى جملة من الركائز التي تشكل منطلقات أساس لتعليم فعال، وهذه الركائز محورها الرئيس التعرف على طبيعة اللغة العربية وخصائصها وبالأخص منها الصوتية.

5- إن أي اقتراح لمناهج اللغة العربية ينبغي ألا ينصب على مسألة "التيسير" قبل مراعاة الضوابط للمستويات اللغوية وتفاعلها صرفية وتركيبية ودلالية دون تمييز، وأن أي إصلاح لمناهج تعليمية اللغة العربية وبخاصة للناطقين بغيرها ينبغي أن يركز على المنطوق، لأن اللغة تكتسب بالممارسة والاستعمال، ولن يتأتى ذلك إلا بتتمة مهارة الكلام.

يتم من خلالها اكتساب اللغة، ومختلف المعارف الأخرى، فإن مهارة الكلام، تعد المهارة الثانية بوصفها مرحلة تهيء المتعلم وتعدّه للمهارات اللغوية الأخرى.

وتكمن أهمية مهارة الكلام في كونها الشكل الرئيس للتواصل اللغوي بالنسبة للإنسان، بحسب الموقف الذي يعيشه أو يمر به، فهي تمثل أداة التواصل المباشر، والفعالة بين الأفراد، وهي وسيلة للإبانة عما في النفس. والتدريب على الكلام يعود المتعلم على الطلاقة في التعبير عن أفكاره، والقدرة على مواجهة الآخرين، فهو -أي الكلام- يؤدي الغرض الوظيفي في الحياة، فيكون الغرض منه تواصل الناس لتنظيم الحياة وقضاء الحاجات، ويتمثل ذلك في المحادثة والمناقشة، والبيع والشراء، وإلقاء التعليمات والإرشادات. وهذا الغرض الوظيفي الذي يتجلى بخاصة ضمن مهارة الكلام، هو أكثر صلة بالحياة اليومية والمواقف الاجتماعية، ولهذا لا بد أن يعرف المتعلم في مراحله الأولى من التعلم الأنماط المناسبة بكل موقف، وتتجلى مهارة الكلام في:

- القدرة على نطق الأصوات العربية نطقاً صحيحاً واضحاً

- استخدام النبر والتنغيم وتنوعه ليناسب المعنى، ويظهر ذلك في الكثير من الأساليب العربية كالتعجب، والاستفهام، والاستغاثة، وهو ما يجب مراعاته في تأدية المتعلم لهذه الأساليب بطريقة تمكنه من ملاحظة الفرق بين أسلوب وآخر.

و تأسيساً على ما سبق ذكره، يمكن التأكيد على المعطيات التالية والتي نعدّها من أسس تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها:

1- تتفرد اللغة العربية بخصائص تميزها عن سائر اللغات، لذا وجب الاهتمام بمواصفات نظامها

والطبيعية لاستخدام اللغة، ومن ثم يقبل المتعلم على اكتساب اللغة وفي ذهنه الاستخدام الفعلي لها من خلال ممارسة مهارة الكلام، وهذه المهارة تؤثر حتماً في تعلم المهارات الأخرى، فنمو القدرة على الكلام يؤدي إلى زيادة القدرة على القراءة بطلاقة، وبالانطلاق في القراءة، واتساع قراءة المتعلم يزداد محصوله اللفظي...

ولكون اللغة التي تتجلى في مهارة الكلام هي في الحقيقة اللغة بمعناها الصحيح، وعليه يجب تقديم هذه المهارة والتركيز عليها (16).

كما تحدد منطلقات البحث العلمي في مجال تعليمية اللغة العربية بالاعتماد على التفكير التحليلي، واستثمار المعطيات العلمية عملياً في تسيير سبل تطوير مناهج تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها، والارتكاز دائماً على أسسها اللغوية.

ومهما يكن من أمر، فإن التفكير في تعلم أي لغة يقتضي بالضرورة الوقوف عند نظامها الصوتي، هذا النظام هو اللبنة الأولى التي تتشكل منها الوحدات المعجمية والتراكيب. واللغة العربية مثلها مثل سائر لغات العالم -تقوم على نظام صوتي يجب مراعاته وفق منهج علمي واضح المعالم.

وعلى الرغم من كل شيء، فإن النتائج المذكورة ضمن هذه الورقة البحثية تبقى بحاجة إلى واقع تجريبي يدعمها، ومناهج مبلورة تصوغ هذه النتائج في برنامج تربوي تعليمي.

وقد أوضحت الدراسات اللسانية الحديثة أن دراسة الأصوات أو بالأحرى النظام الصوتي يعدّ القاعدة الأساس للدراسات الصرفية والتركيبيّة والمعجميّة، وأنه يعدّ أول خطوة في أي دراسة لغوية، لأنها تتناول الصوت باعتباره المادة الخام للكلام الإنساني، وهو الركيزة الأساس لبنية اللغة.

6- يطرح سؤالان لا بد من الإجابة عنهما إن كان علينا تأسيس منهاج معقول وفعال في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها:

الأول: ما هي طبيعة تلك اللغة التي يجب على المتعلمين اكتسابها؟

الثاني: كيف يتعلم الناس تلك اللغة، وما المهارة التي يركز عليها؟

وعليه، ومن منطلق هذه التساؤلات ينبغي إدراج الأداء الصوتي، ويعتمد في ذلك على المواصفات العلمية للصوامت والصوائت، وللظواهر الصوتية بصفة عامة، كالتنغيم، والنبر والمائلة، والوصل، والقطع، والوقف، والابتداء، والمد، والقصر. فأى دراسة تفصيلية للغة ما تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية، أو لعناصرها التكوينية، وتقتضي دراسة تجمعاتها الصوتية (15)، ومن هذا المنطلق يرى المختصون الأهمية الكبرى لتعليم الجوانب الصوتية من البداية تعليمياً صحيحاً، فالنطق أكثر عناصر اللغة صعوبة في تغييره أو تصحيحه بعد تعلمه بشكل خاطئ. فالبداية الصحيحة أساس سليم لنجاح العملية التعليمية، وعليه ترسخ العادات السليمة

الهوامش:

مود كامل الناقة ورشدي أحمد طعيمة، طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أيسيسكو، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2003، ص 5.

1- ينظر المصطفى بن عبد الله بوشوك: تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط (المغرب)، الطبعة الثانية، سنة 1994، ص 42، وينظر كذلك Denis Girard في كتابه "Linguistique appliquée et didactique des

"langues" حيث يوضح الأولوية التي تعطى للجانب المنطوق من اللغة، وأنه من أهم مبادئ اللسانيات التطبيقية في ميدان تعليمية اللغة حيث يقول:

" Quels sont donc les principes fondamentaux de ce qui est convenu d'appeler la linguistique appliquée à l'enseignement des langues... le premier est sans aucun doute la priorité que l'on doit accorder à la forme orale du langage, c'est-à-dire essentiellement à la langue parlée". ص 17.

- 2- ينظر كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1998، ص 193 و 194.
- 3- ينظر مازن المبارك، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1985، ص 47.
- 4- رشدي أحمد طعيمة، الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وحدة البحوث والمناهج، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1982، ص 28-29.
- 5- ينظر محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية "دراسة حول المعنى وظلال المعنى"، منشورات جامعة الفاتح، سنة 1993، ص 40 و 41.
- 6- ينظر فهد خليل زايد، اللغة العربية منهجية وظيفية، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان (الأردن)، الطبعة الأولى، سنة 2006، ص 9.
- 7- ينظر أحمد شامية، خصائص اللغة العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، سلسلة المعرفة، علوم اجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1995، ص 44 و 45.
- 8- ينظر محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف بالإسكندرية، (مصر)، سنة 1962، ص 132 و 133.
- 9- للاستزادة يراجع عبد المقصود محمد عبد المقصود، دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإعلال في العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 2007، ص 14 وما بعدها، وينظر أيضا كمال محمد بشر في كتابه علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات، ص 216 وما بعدها.
- 10- استعملت عدة عبارات للدلالة على مهارة الكلام، فهي لغة الحديث، واللغة المحكية، ومهارة التحدث، ومهارة التعبير الشفوي. و للمهارة تعريفات كثيرة تصب في مجملها في كونها القدرة على تمثيل أمر ما بدرجة إتقان مقبولة، أو هي الكفاءة في أداء مهمة ما، و تتطلب المهارة التركيز على النشاط و الإنجاز و المعالجة الفعلية الواقعية. و المقصود بالكلام القدرة على التعبير الشفوي عن المشاعر المختلفة بطريقة وظيفية أو إبداعية مع سلامة النطق و حسن الإلقاء... للاستزادة ينظر رشدي أحمد طعيمة، المهارات اللغوية، مستوياتها، تدريسها، صعوبتها ص 26-32، و علي أحمد مذكور، طرق تدريس اللغة العربية ص 151-165، و عبد الله علي مصطفى، مهارات اللغة العربية ص 43.
- 11- ينظر عمر الصديق عبد الله، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: الطرق - الأساليب - الوسائل، ص 75.
- 12- ينظر محمود كامل الناقه ورشدي أحمد طعيمة، تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص 126-127.
- 13- أجريت شخصيا دراسة تقابلية بين اللغتين العربية والفرنسية، دُعمت بدراسة ميدانية على فئة من المتعلمين لتحديد العقبات الصوتية التي تعترضهم، وكان الهدف طبعاً هو دراسة كيفية تعليم النظام الصوتي للغة العربية إلى الناطقين باللغة الفرنسية من جهة وإلى تبيان الأسس الألسنية التي تبنى عليها العملية التعليمية من جهة ثانية، وكان ذلك من خلفية مفادها الإهمال الكبير للجانب الصوتي على الرغم من أهميته في عملية التواصل كما أثبتت ذلك العديد من الدراسات اللسانية الحديثة.
- 14- أحمد عمر مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1981، ص 347.
- 15- محمود كامل الناقه ورشدي أحمد طعيمة، تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، ص 129.

قائمة المراجع

- 1- أحمد شامية: خصائص اللغة العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوي)، سلسلة المعرفة، علوم اجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1995.
- 2- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط2، سنة 1981.

- رشدي أحمد طعيمة:
- 3- الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وحدة البحوث والمناهج، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، 1982.
- 4- المهارات اللغوية: مستوياتها، تدريسيها، صعوباتها، دار الفكر العربي القاهرة سنة 2004
- 5- عبد الله علي مصطفى:
- مهارات اللغة العربية، دار المسيرة للنشر و التوزيع - عمان، الأردن، الطبعة الأولى سنة 2002.
- 6- عبد المقصود محمد عبد المقصود:
- دور علم الأصوات في تفسير قضايا الإغلال في العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، سنة 2004.
- 7- علي أحمد مذكور:
- طرق تدريس اللغة العربية، دار المسيرة للنشر و التوزيع، عمان-الأردن، الطبعة الأولى سنة 2007.
- 8- عمر الصديق عبد الله:
- تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: الطرق - الأساليب - الوسائل، الدار العالمية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة 2008.
- 9- فهد خليل زايد:
- اللغة العربية منهجية وظيفية، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، سنة 2006.
- كمال محمد بشر:
- 10- علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات، دار المعارف، القاهرة، سنة 1971.
- 11- دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1998
- 12- مازن المبارك:
- نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة 1985.
- 13- محمود السعران:
- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار المعارف الاسكندرية، سنة 1962.
- 14- محمود كامل الناقة ورشدي أحمد طعيمة:
- طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أيسيسكو، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2003.
- 15- المصطفى بن عبد الله بوشوك:
- تعليم وتعلم اللغة العربية وثقافتها، الهلال للعربية للطباعة والنشر، الرباط، ط2، سنة 1994.

16-Denis Girard:

Linguistique appliquée et didactique des langues, Armand colin, Paris, 3eme Edition, 1972.